المحاضرة 07 ماهية الدلالة عند الشريف الجرجاني (ت 816 ه)

استمر علماء العرب في البحث والتقصي عن معاني الدلالة، وإن كانت دائما في أطر شرعية محضة، همهم الفهم الصحيح لمعاني النصوص الشرعية. وفي خضم بحثهم أثاروا أفكارا عميقة لم يتوصل إليها إلّا حديثا . كعلم السّمة أو العلامة، الذي بدأ بعلم الإشارة، والدلالة غير اللفظية ـالإيحائية ـ.

أحاط علماء القرآن في القرون الأولى بهذا العلم بل وصلوا إلى جذوره وأعماقه، بنظرة فاحصة، لقد أشار الشريف الجرجاني إلى السيمونتيك، ما يعرف بعلم الرمز أو السّمة. السّيمياء ذلك حينما يقول: (الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به علم بشيء أخر). وهو يذكر كلمة شيء عوض لفظ، فهو يعني الإشارة، والإشارة هي الرّمز والعلامة (لغوية وغير لغوية) والجرجاني في هذا الطرح لم يكن همّه التّنظير لهذا العلم والتأسيس له، بل كان رجاءه هو المعنى المقصود من النّصوص الشّرعية، لكنه دائما يثير أمورا لم يتوصل إليها إلا حديثا. فتصنيفاته للدلالة (الدلالة اللفظية، وغير اللفظية) الّتي انطوت عليها تفريعات ثلاث: وهي دلالة اللفظ، ودلالة الإشارة، ودلالة الاقتضاء.

وهو ما يشار إليه في علم الدلالة الحديث عند هياكوا .....الذي تحدث عن المعنى القصدي، والمعنى الإتساعي، وهو ما يسمى بالمعنى الإيمائي، وهو ما توصل إليه الشريف الجرجاني في تفريعاته الثلاث: وبالتالي الدلالة عنده لا تقبل المجاز أو التأويل فلكل دلالة قرائن ظاهرة أو خفية تؤدي المعنى المقصود دون انزياح للمعنى أو شروده. هي العلاقة بين الصّورة الذهنية واللفظ كما يحملها السياق. المهم الدلالة في فهمه أنّها تتمثل في صرف الدال إلى المدلول رأسا . إلّا أنه كما سبق لم تتم تقسيمات وتبويبات واضحة لهذا العلم كعلم خاص، و إنما هو نتف مبعثرة في بطون أمهات الكتب .

يراها حازم القرطنجي 684 ه، وهو يقول: (قد تبين أن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان، ولها صور موجودة في الأذهان، ولها من جهة على ما يدل على تلك الصّور من الألفاظ وجود في الأفهام والأذهان)

كما يراها الجاحظ بعميق تحليله، ودقة تمييزه، عندما اشتغل بالبيان فيعطيها تمثيلات إجرائية من واقع المجتمع العربي الذي عايشه .